مكانة الحرمين الشريفين
وأثرها على العلاقات الدولية
دراسة تأصيلية

بحث من إعداد

فضيلة الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز الغيث

الأستاذ المشارك بقسم السياسة الشرعية

في المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني: aag498358@gmail.com

مكانة الحرمين الشريفين وأثرها على العلاقات الدولية

دراسة تأصيلية

عبد الله بن عبد العزيز الغيث

قسم السياسة الشرعية، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني: aag498358@gmail.com

ملخص البحث:

لقد خص الله تعالى الحرمين الشريفين بخصائص ومزايا كريمة، وأضفى على الحرمين الشريفين المهابة والإجلال والتعظيم والمكانة في نفوس المسلمين، وجاءت نصوص الوحيين مؤسسة وداعمة لهذا التعظيم والمنزلة، وكان لهذه المكانة الآثار البارزة والطيبة في تعزيز وتقوية العلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى، مما أثر ذلك على التعاملات وتقوية روابط التعايش بين الدول، لأجل هذه الأهمية، اخترت دراسة مكانة الحرمين الشريفين وأثرها على العلاقات الدولية دراسة تأصيلية، وجاءت هذه الدراسة بأربعة مباحث، حيث تناولت في المبحث الأول التعريف بمكانة الحرمين الشريفين، وجاء المبحث الثاني في مكانة الحرمين الشريفين في الشريعة الإسلامية، والمبحث الثالث مكانة الحرمين الشريفين في تعزيز مبادئ العلاقات الدولية، وجاء المبحث الرابع في بيان مكانة الحرمين الشريفين وأثرها على العلاقات الدولية، ثم ختمت الدراسة بالخاتمة المتضمنة أهم النتائج والتوصيات والفهارس.

كلمات افتتاحية: الحرمين الشريفين، مكانة، العلاقات الدولية.

The Status of the Two Holy Mosques And it's Impact on International Relations A Foundational Study

Abdullah Abdulaziz Alghaith
Department of Sharia Politics, , College of Sharia, Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University (IMSIU), Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia.
E-Mail: aag498358@gmail.com

Abstract:

Allah Almighty has distinguished The Two Holy Mosques with noble features and characteristics, Allah made the Two Holy Mosques a place of reverence, stature, veneration and prestige in the hearts of Muslims. The texts of the revelations came as a foundation and support for this veneration and stature, and this status had prominent and good effects on the consolidation and strengthening of international relations between the Islamic state and other countries, which in turn affected dealings and strengthened the ties of coexistence between countries, for that, I chose to study the status of the Two Holy Mosques and its impact on international relations, an authentication study. This study is divided into four topics, the first topic dealt with the definition of the status of the Two Holy Mosques, and the second topic dealt with the status of the Two Holy Mosques in Islamic Sharia, and the third topic is the status of the Two Holy Mosques in promoting the principles of international relations, and the fourth topic dealt with the status of the Two Holy Mosques and its impact on international relations, then the study was concluded with a conclusion containing the most important results, recommendations and indexes.

Keywords:The Two Holy Mosques, Status, International Relations.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خص الحرمين الشريفين بالمكانة والمنزلة والمهابة والإجلال، وأشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الفضائل والشمائل كريم الخصال، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليم كثيرا في جميع الأوقات والأحوال،، أما بعد:

فقد شاء الله تعالى واختار سبحانه أن يكون لمكة المكرمة والمدينة المنورة، الشرف والمكانة والمنزلة العالية الرفيعة، وخصهما بوجود الحرمين الشريفين، والمشاعر المقدسة والبقاع الطاهرة، فكان لهذه الخصائص والسجايا الحميدة للحرمين الشريفين، المكانة والمهابة والتعظيم والإجلال في نفوس المسلمين، وجاءت نصوص الوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية، مؤسسة وداعمة لهذه المكانة ولهذا التعظيم يقول الله تعالي﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ ﴾سورة القصص الآية ٥٧، ويقول تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧ ﴾ سورة العنكبوت الآية ٦٧، ويقول تبارك وتعالى ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴾ سورة الحج الآية ٣٠، فكان لهذه النصوص الشريفة الأثر البارز في دعم مكانة الحرمين الشريفين في نفوس المسلمين، والتي كان لها الدور والأثر في تعزيز وتحسين مستوى العلاقات مع المجتمعات والشعوب والدول الأخرى، وتقوية روابط التعايش السلمي بين الدول، ولأهمية هذه المكانة أحببت أن أقدم هذه الدراسة، التي جاءت بعنوان مكانة الحرمين الشريفين وأثرها على العلاقات الدولية – دراسة تأصيلية.

أهمية الدراسة:

لقد أثرت مكانة الحرمين الشريفين في نفوس المسلمين وفي تعاملاتهم وحياتهم الإنسانية، وعلى كافة مجالات الحياة، ومنها التعامل الدولي والعلاقات الدولية، والتي كان لمكانة الحرمين الشريفين الدور والأثر البارز في تحسين وتعزيز مستوى العلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية والدول والمجتمعات الأخرى، ونشر ثقافة الحوار، ودعم الأمن والسلم الدوليين، وتقوية روابط التعايش السلمي والأمن الدولي، ولذا كان لدراسة مكانة الحرمين الشريفين وأثرها على العلاقات الدولية الأهمية العظمى، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة، التي سعت إلى إبراز جوانب هذه المكانة وصورها ومبادئها ومرتكزاتها وآثارها، واستنباط ذلك من نصوص الوحيين.

مشكلة الدراسة:

تعتبر مهابة الحرمين الشريفيين وتعظيمهما وتكريمهما، من أصول وركائز عقيدة المسلم، ومن شعائر الدين ومرتكزاته، والتي جاءت نصوص الشريعة بتأسيسها وتأصيلها، وينبغي على المسلمين قاطبة أفراداً ومجتمعات، وعلى كافة المستويات والشعوب والدول والقيادات الإسلامية، تعظيمها وإجلالها ومراعاتها، لما لها من الآثار الحميدة والكريمة على تعزيز وتحسين مستوى العلاقات، والروابط الدولية مع الشعوب والدول الأخرى، وانطلاقا من ذلك وأهميته، كان لا بد من دراسة علمية تتولى جمع هذه النصوص الكريمة، وبيان مظاهر وصور مكانة الحرمين الشريفين في الوحيين المطهرين، وإبراز مبادئ مكانة الحرمين الشريفين في مجال العلاقات الدولية، والآثار الحميدة المترتبة عليها، وكل ذلك جاء لتعزيز ودعم مكانة الحرمين الشريفين في نفوس المسلمين، وآثارها على العلاقات الدولية، وهذا ما حاولت هذه الدراسة بتناوله وطرقه وبحثه.

تساؤلات الدراسة:

- ما تعريف مكانة الحرمين الشريفين وآثارها على العلاقات الدولية؟
- ما مظاهر وصور مكانة الحرمين الشريفين في نصوص الوحيين القرآن والسنة النبوية المطهرة؟
- ما المبادئ والأسس التي ارتكزت عليها مكانة الحرمين الشريفين في تعزيزها للعلاقات الدولية؟
- ما أبرز آثار مكانة الحرمين الشريفين على تعزيز وتقوية العلاقات الدولية؟

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات حول الحرمين الشريفين وأحكامهما وآدابهما، وقد جاءت هذه الدراسات متعددة المشارب والطرح والدراسة، فمن تلك الدراسات ما يلي:

١. الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به دارسة تاريخية وهي رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث عبد الملك بن عبد الله بن دهيش بجامعة أم القرى، ط١، ١٤١٥هـ.

٢. الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعاً ودراسة، وهي رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث صالح بن حامد الرفاعي، بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤١٥هـ.

٣. رؤية فكرية وتاريخية لرعاية الحرمين الشريفين، بحث من إعداد الدكتور محمد إبراهيم زعروت، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، بعدد ٢٤.

٤. رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام حتى العهد السعودي، تأليف الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، ب.ت، ب.ط

٥. فضائل الحرمين الشريفين كتاب من تأليف د/محمود محمد حمو، ط١، ١٤٣٢هـ.

٦. أحكام الحرمين المكي والمدني في الفقه الإسلامي، وهي رسالة ماجستير مقدمة من الباحث باسم مهدي صالح السامرائي، جامعة بغداد، ١٤٢١ه.

٧. أحكام وخصائص الحرمين المكي والمدني في الفقه الإسلامي، وهي رسالة ماجستير مقدمة من الباحث علي أحمد القاعدي، جامعة أم درمان، ٢٠٠٨م.

٨. الأحكام الفقهية المتعلقة بالحرمين الشريفين، وهي رسالة ماجستير مقدمة من الباحث ضيف الله مسفر الغامدي، جامعة أم درمان، ٢٠١٠م.

وبعد عرض هذه الدراسات نستنتج الفروق بينها وبين هذه الدراسة:

١)أن كل دراسة من الدراسات تناولت جزئية معينة مختلفة عن الأخرى، فهناك دراسة تناولت الأحكام الفقهية للحرمين الشريفين، وهناك دراسة تناولت الفضائل والآثار، وهناك دراسة تناولت الحدود الجغرافية للحرمين الشريفين، ودراسة أخرى تناولت التطوير العمراني للحرمين الشريفين، بينما هذه الدراسة تختلف عن تلك الدراسات السابقة من ناحية المضمون والفكرة، حيث تناولت هذه الدراسة مظاهر مكانة الحرمين في نصوص الوحيين، كما تناولت المبادئ والأسس التي قامت عليها مكانة الحرمين الشريفين في تأسيس مبادئ العلاقات الدولية، والآثار المترتبة عليها، وهذا لم تتناوله الدراسات السابقة، وهو مما يميز هذه الدراسة عن غيرها.

٢)هناك من الدراسات من قامت على منهج الدراسة الميدانية والتحليلية أو المسحية، أو الجغرافية، أما هذه الدراسة فهي تختلف عنها لأنها دراسة تأصيلية لمكانة الحرمين الشريفين وأثرها على العلاقات الدولية.

٣)أن هذه الدراسة تميزت بتناول مكانة الحرمين الشريفين ودورها في تعزيز مبادئ العلاقات الدولية، وأثرها على تقوية روابط التعايش السلمي، والأمن والسلم الدوليين، وهذا لم تتناوله الدراسات السابقة، وهو مما يميز هذه الدراسة عن غيرها.

خطة الدراسة:

لقد جاءت خطة الدراسة على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بمفردات الدراسة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمكانة الحرمين الشريفين.

المطلب الثاني: مفهوم العلاقات الدولية.

المبحث الثاني: مكانة الحرمين الشريفين في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث: مكانة الحرمين الشريفين في تعزيز مبادئ العلاقات الدولية وفيه مطالب:

المطلب الأول: مبدأ احترام الأديان ودور العبادة والمقدسات الدينية.

المطلب الثاني: مبدأ احترام المعاهدات والاتفاقيات الدولية.

المطلب الثالث: مبدأ احترام القيم الإنسانية السامية.

المطلب الرابع: مبدأ مراعاة حسن الجوار.

المطلب الخامس: مبدأ الحوار مع الآخرين.

المطلب السادس: مبدأ احترام الثقافات والتقاليد والأعراف والعادات.

المطلب السابع: مبدأ التعاون وتبادل المنافع والمصالح المشتركة.
المطلب الثامن: مبدأ احترام القواعد والأعراف العسكرية في حالة الحروب والنزاعات المسلحة.
المطلب التاسع: مبدأ تقديم المساعدات الإغاثية والإنسانية.
المبحث الرابع: مكانة الحرمين الشريفين وأثرها على العلاقات الدولية وفيه مطالب:
المطلب الأول: الآثار السياسية والدولية.
المطلب الثاني: الآثار الأمنية.
المطلب الثالث: الآثار الاقتصادية.
المطلب الرابع: الآثار المجتمعية.
الخاتمة: متضمنة أهم النتائج والتوصيات
وجاءت تقسيمات البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بمفردات الدراسة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمكانة الحرمين الشريفين:

المكانة في اللغة: مصدر مأخوذ من مكن والجمع مكانات، ومكن الرجل عند الناس أي صار ذا منزلة ورفعة وشأن وله قدر، فالمكانة لغة تعني المقام والمنزلة والقدر.(١)

وأما التعريف اللغوي للحرمين: فهي مثنى مفردها حرم، وهي مصدر والفعل منها حَرَمَ، وهو مأخوذ من منع، يقال حرم فلان الشيء أي منعه، ومكان حرام أي ممنوع ولا ينتهك حرمه وله مهابة، والحرمان هما مكة والمدينة.(٢)

وفي الاصطلاح عرف الحرم: بأنه المكان المقدس الذي خصه الله تعالى بالخصائص والبركات والمميزات، كما يحرم فيه انتهاك المحظورات، واختص بهذا اللفظ مكة والمدينة، فهما الحرمان الشريفان، وقد جاءت النصوص بتحريمهما وعدم انتهاك حرمتهما، وهذا من خصائص مكة والمدينة، جعل الله تعالى ما أحاط بهما من حدود ينال حكمهما في الحرمة، تكريماً وتشريفاً لهما.(٣)

فمن خلال ما سبق نستنتج أن حرمي مكة والمدينة، هما مكانان معظمان مقدسان، اختصهما الله تعالى بالخصائص والمميزات التي تنفرد عن غيرهما، وجعل الله تعالى لهما هذه الحرمة تكريماً وتشريفاً ومهابة لهما، ولرفعة مقامهما وعلو منزلتهما.

---

(١) أحمد محمد، الفيومي، انظر المصباح المنير، ب.ط، بيروت، ب.ت، مادة مكن، ٧٧

(٢) انظر المرجع السابق، مادة حرم، ١٣١

(٣) انظر عبد العزيز الحويطان، أحكام الحرم المكي الشريف، ط١، الرياض، ١٤٢٥ه، ١١

المطلب الثاني: مفهوم العلاقات الدولية:

مصطلح العلاقات الدولية مصطلح حادث ويقابله في الفقه الإسلامي مصطلح علم السير، وقد تناول الفقهاء المتقدمين هذا العلم بالبحث والدراسة، وذكروا فيه أحكام الجهاد مع العدو، وما يجب على الإمام والغزاة، ومن يحل قتله ومحاربته في دار الحرب وحال المعركة، ومن لا يحل قتله، كما ذكروا أهل الذمة والمستأمنين والمعاهدين، والأحكام المرتبطة باختلاف الدارين[١]، أما الفقهاء المتأخرين والمعاصرين، فقد تناولوا مصطلح العلاقات الدولية في الإسلام بالبحث والدراسة والتعريف، فمنهم من عرفها بقوله (هي معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بمعاملة المسلمين غيرهم في حالتي السلم والحرب وفي دار الإسلام أو خارجها)[٢] وهناك من الفقهاء من يعرفها بأنها (علم يبين علاقة الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى من الدول، في حالتي السلم والحرب ويبين أحكام اختلاف الدارين، ويبين أحكام أهل الذمة والعهد والحرب)(٣)، وجميع تلك التعريفات متقاربة، ومن خلال عرض هذه التعريفات، يمكن ربط بعضها ببعض، فنقول بأن مقام ومنزلة ومكانة الحرمين الشريفيين، النابعة من نصوص الشريعة الإسلامية، كان لها الدور البارز في تأسيس وتأصيل مبادئ العلاقات الدولية، في حالتي السلم والحرب بين الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى، مما أثر ذلك وأثمر في تعزيز وتقوية هذه العلاقات الدولية.

(١) انظر مسعود الكاساني، بدائع الصنائع، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧ه، كتاب السير، ٧/ ١٥٠.

(٢) داير يوسف، المستجدات الفقهية في العلاقات الدولية، ط١، عمان، دار النفائس، ٥٠.

(٣) المرجع السابق، ٤٩.

المبحث الثاني: مكانة الحرمين الشريفين في الشريعة الإسلامية:

إن من أصول الإيمان وركائزه إثبات المشيئة لله سبحانه والقدرة والاختيار، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، يقول تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سوره القصص الآية ٦٨، فلقد شاء الله تعالى وقدر سبحانه واختار أن تكون مكة المكرمة والمدينة المنورة، هما المدينتان المعظمتان على وجه البقاع في الأرض، واختص الله سبحانه وتعالى هذين الحرمين بأحكام وآداب عن غيرهما من سائر البلدان، تعظيماً وتكريماً وتشريفاً لهما، وجعل الله تعالى تعظيم هذان الحرمان من خير الأعمال والقربات يقول جل وعلا﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الحج الآية ٣٢، فكان لمكة والمدينة المكانة العالية والمنزلة الرفيعة، والمهابة الجليلة في نفوس المسلمين وغيرهم، ممن ارتبط بهم بعلاقات ومصالح مشتركة، وقد جاءت نصوص الشريعة المنبثقة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مؤسسة وداعمة لهذا التعظيم للحرمين الشريفين، وبيان مكانتهما وعلو منزلتهما وقدرهما، في مظاهر متعددة وصور متنوعة، فمن ذلك ما يلي:

١-أن مكة والمدينة حرمان آمنان لا ينتهك حرمتهما وواجب تعظيمهما يقول الله تعالى﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴿٥٧﴾ ﴾ سورة القصص الآية ٥٧، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها) [(١)]، وفي تحريم المدينة يقول

(١) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق خليل مأمون، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٨ه، كتاب الحج/ باب تحريم مكة، حديث رقم ١٣٥٣.

النبي صلى الله عليه وسلم (إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لا بتيها) [١]

٢-من مظاهر تعظيم الحرمين الشريفين، أنهما حرمين آمنين، يحرم حمل السلاح فيهما والقتال، ويحرم قتل الصيد فيهما، ويحرم التقاط اللقطة في الحرم، وكل هذه الخصائص وغيرها، من باب تعظيم مقام الحرمين وعلو منزلتهما ومكانتهما في النفوس، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم وتعظيم حرم مكة (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقولوا له أن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يأذن لكم، وإنما إذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب) [٢]، ويقول عليه الصلاة والسلام في تحريم وتعظيم حرم المدينة الطيبة (اللهم إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حرم مكة فجعلها حرماً، وإني حرمت المدينة حراماً، ما بين مأزميها أن لا يراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاحاً لقتال، ولا يتخبط فيها شجرة إلا لعلف) [٣].

٣-ومن مظاهر تعظيم الحرمين الشريفين، أنهما مهبط الوحي ومنبع الرسالة، وعاصمتي الاسلام وموطن المهاجرين والأنصار، ودار الخلافة الأولى، ومنهما انطلقت كتائب الجهاد في سبيل الله، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومنهما شع نور العلم والحق والدعوة إلى الله تعالى، وإليهما يعود ويتجه الإيمان، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأزر بين المسجدين كما تأزر الحية في جحرها) [٤]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج/ باب فضل المدينة وتحريمها، حديث رقم ١٣٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج/ باب تحريم مكة، حديث رقم ١٣٥٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج/ باب الترغيب في سكنى المدينة، حديث رقم ١٣٧٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان/ باب أن الإسلام بدأ غريباً، حديث رقم ١٤٦.

٤- ومن مظاهر تعظيم الحرمين الشريفين، أنهما مدينتان مباركتان، قد حلت البركة والخير والنماء فيهما بكل شيء، فهما مباركتان في الطعام والشراب والأرزاق والكسب والمعيشة، وهذا بسبب دعوات الخليلين لهما، فقد دعا خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأهل مكة بقوله ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ سورة إبراهيم الآية ٣٧، كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة بالبركة والخير، يقول عليه الصلاة والسلام (اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه)(١)

٥-ومن صور تعظيم الحرمين الشريفين، أنهما تضاعف فيهما الأعمال الصالحات والحسنات والقربات والصلوات، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) (٢) ، وهذه المضاعفة في العدد خاصة بالحسنات والأعمال الصالحات، أما السيئات فالصحيح أنها لا تضاعف، وإنما السيئة تكتب على الانسان سيئة واحدة، كما قال الله تعالى ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠ ﴾سورة الأنعام الآية ١٦٠، ولقوله صلى الله عليه وسلم (من هم بسيئة فعملها كتبها الله سيئة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج/ باب فضل المدينة، حديث رقم ١٣٧٣.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ط١، الرياض، دار السلام، ١٤١٩ه، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم ١١٩٠.

واحدة) (١) ، فالسيئات في الحرمين لا تضاعف، وإنما تفخم وتعظم وذلك لعظم مقامهما تشريفاً ومهابة لهما، يقول الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله (فالسيئات لا تضاعف من جهة العدد، لا في رمضان ولا في الحرم ولا في غيرهما، بل السيئة بواحدة دائماً، وهذا من فضله سبحانه وتعالى واحسانه، ولكن سيئة الحرم وسيئة رمضان وسيئة عشر ذي الحجة أعظم في الاثم من حيث الكيفية، لا من جهة العدد، فسيئة في مكة أعظم وأكبر وأشد من سيئة في جده والطائف مثلاً) (٢).

٦-من مظاهر تعظيم الحرمين الشريفين، الحماية الآلهية لحرم مكة والمدينة، فقد حمى الله تعالى مكة من أصحاب الفيل لما قدموا لهدم الكعبة، وتوعد الله تعالى كل من يريد السوء في الحرم أن يذيقه العذاب الأليم، يقول الله تعالى ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الحج الآية ٢٥، وقد ثبت في السنة النبوية، أن النبي صلى الله عليه وسلم توعد كل من أراد السوء بأهل المدينة، يقول عليه الصلاة والسلام (من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء) (٣)،كما جعل الله سبحانه الملائكة تحمي الحرمين من كل سوء ومكروه، ومن شر الدجال والطاعون والأعداء، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابهما إلا عليه الملائكة صافين يحرسونهما) وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام (على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال) (٤)

٧-ومن صور تعظيم الحرمين الشريفين، أن الإسلام حرم اقتراف المعاصي والذنوب والخطيئات في مكة والمدينة، وحرم الظلم والإلحاد في الحرمين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق/ باب من هم بحسنة أو بسيئة، حديث ٦٤٩١

(٢) انظر عبد العزيز بن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع وترتيب محمد شويعر، ط١، الرياض، ١٤٢١ه، ١٩٨/١٧.

(٣) أخرجهمسلم في صحيحه، كتاب الحج/ باب تحريم إرادة اهل المدينة بسوء، حديث رقم ١٣٨٧.

(٤) أخرجهالبخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة/ باب لا يدخل الدجال المدينة، حديث رقم ١٨٨٠ – ١٨٨١.

الشريفين، يقول الله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥ ﴾ سورة الحج الآية ٢٥، فقد توعد الله تعالى مقترف المعاصي والخطايا والظلم والالحاد في الحرم، بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، ففي الآية وجوب احترام الحرم وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها.(١)

٨- ومن صور تعظيم الحرمين الشريفين، أن الإسلام حرم إحداث الجرائم والمنكرات والجنايات في الحرمين، وحرم نشر البدع المضللة والخرافات والآراء المحدثة، أو التحريض لها والدعوة إليها، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل) (٢)، وهذا الوعيد لا يقتصر على من أحدث في حرم المدينة فقط، بل يتناول أيضاً من يحميه ويقدم له العون والمساعدة.

٩- ومن مظاهر تعظيم الحرمين الشريفين، وجود آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيهما، ففي مكة المكرمة الكعبة المشرفة التي بناها خليل الله إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، يقول الله تعالى﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ سورة البقرة الآية ١٢٧، كما يوجد بجوار الكعبة مقام إبراهيم الخليل عليه السلام والذي قال الله تعالى فيه﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا

(١) انظر عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق محمد النجار، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ ٢/ ٨٧

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض/ باب اثم من تبرأ من مواليه، حديث رقم ٦٧٥٥.

وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴿١٢٥﴾ ﴾ سورة البقرة الآية ١٢٥، ومن جوار الكعبة المشرفة أيضاً توجد العين المباركة، ماء زمزم التي نبعت غوثاً من الله تعالى لهاجر وابنها إسماعيل عليه السلام، فقد روى ابن عباس رضى الله عنهما، أن إبراهيم عليه السلام لما ترك هاجر وإسماعيل بوادي مكة، وليس معهما إلا قربة ماء، فلما فرغ الماء وعطشا، ذهبت هاجر تبحث عن الماء والغوث، وسعت بين الصفا والمروة سبع مرات، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبعث بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت هاجر تجمعه بيدها، ولو تركته لكان نهراً ظاهراً، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت زمزم عيناً معيناً) (١)، أما المدينة المنورة ففيها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، الذي بناه بيديه الشريفتين، وفيها بيوته الطاهرة، وفيها منبره المبارك والروضة الشريفة، وفي المدينة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يعرف قبر نبي على وجه الأرض بالعلم والجزم والقطع واليقين والتواتر، إلا قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة، وما عداه من قبور الأنبياء فهي غير محفوظة، وما يقال فيها فهو متنازع فيه. (٢)

١٠-ومن مظاهر تعظيم الحرمين الشريفين، تعلق أركان الإسلام بهما، فالصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام لا تصح إلا باستقبال القبلة والكعبة المشرفة، يقول الله تعالى﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴾ سورة البقرة الآية رقم ١٥٠، والحج والعمرة وما فيهما من عبادات ومناسك وشعائر، لا تكون إلا في مشاعر وبقاع مكة المكرمة الطاهرة، يقول الله تبارك وتعالى﴿ لَيۡسَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، حديث رقم ٣٣٦٣.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وتحقيق عبد الرحمن بن قاسم، ط١، المدينة المنورة، طباعة مجمع الملك فهد، ١٤٢٥، ٢٧/ ٤٤٤.

عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ سورة البقرة الآية ١٩٨، ويقول تبارك وتعالى عن أعمال ومناسك الحج ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ سورة الحج الآية ٢٩، فالمشاعر المقدسة، كعرفات ومنى ومزدلفة والجمرات كلها في مكة المكرمة، فهذه المشاعر ترتبط فيها أعمال الحج ومناسكه، فليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل مسلم قادر مستطيع السعي إليها، والطواف بالبيت الذي فيها غير مكة المكرمة، وليس على وجه الأرض موضع يشرع للناس تقبيله واستلامه، غير الحجر الأسود والركن اليماني الموجود في الكعبة المشرفة (١)،كما أن الإسلام خصص شد الرحال والزيارة الايمانية للحرمين الشريفين، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى) (٢).

فمن خلال هذه المظاهر وغيرها، يتبين لنا مكانة الحرمان الشريفان، وأن الإسلام جاء بتعظيمهما وتشريفهما وتكريمهما، والواجب على كل مسلم تعظيم ما عظمه الإسلام وكرمه، فهذا من علامة الايمان والتقوى يقول المولى جل وعلا ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ سورة الحج الآية ٣٢، فسوف تبقى للحرمين الشريفين بإذن الله المكانة العالية والمنزلة الرفيعة والمهابة، والإجلال والتعظيم في نفوس المسلمين والعالمين أجمعين.

(١) انظر بكر أبوزيد، خصائص جزيرة العرب، ط٢، مكة، دار عالم الفوائد، ١٤٢١، ٤١.

(٢) أخرجهالبخاري في صحيحه، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة/ باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم ١١٨٩.

المبحث الثالث: مكانة الحرمين الشريفين في تعزيز مبادئ العلاقات الدولية:

لقد جعل الإسلام للحرمين الشريفين المكانة والمنزلة في نفوس المسلمين، وغيرهم من الشعوب الأخرى في الدول المجاورة للدولة الإسلامية، مما كان لهذه المكانة الدور البارز في تأسيس وتعزيز كثير من المبادئ، في مجال العلاقات الدولية، وقامت هذه المبادئ وارتكزت من نصوص الوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وكان انطلاق هذه المبادئ من رحاب الحرمين الشريفين ويظهر ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: مبدأ احترام الأديان ودور العبادة والمقدسات الدينية:

لقد بعث الله تعالى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بأشرف رسالة وأسمى شريعة، وجعل شريعة ودين الإسلام هي الرسالة الخالدة والشريعة الباقية، ولن يقبل الله من أحد غير الإسلام، كما قال الله تعالى "﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة آل عمران الآية ٨٥، ومع وجود هذه الأصول والأسس، إلا أن الإسلام لم يكره أحداً من أهل الممل والأديان الأخرى إلى الدخول فيه، يقول تعالى﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٥٦، فالاسلام تسامح مع أهل الملل واتباع الأديان ولا يجبر أحداً للدخول فيه، بل دعا وحث ورغب في الدخول بالإسلام، وجعل للإنسان الخيار في تقرير مصيره فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ومن كفر يتحمل مسؤولية أعمآله يوم القيامة(١)، يقول الله تعالى﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة آل عمران الآية ٢٠، وفي المقابل نجد أن الإسلام نهى عن الاعتداء على الأديان أو الإساءة لها،

(١) انظر مصطفى الكبيسي، احكام التعايش مع غير المسلمين، ط١، عمان، دار النفائس، ٢٠١٣م، ٢٩.

يقول الله تعالى﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ١٠٨ ﴾ سورة الأنعام الآية ١٠٨، ومن سماحة الإسلام واحترامه لدور العبادة والمقدسات الدينية لغير المسلمين، فقد نهى الإسلام عن الاعتداء أو الإساءة لها في حالة الحرب مع العدو، ونهى عن هدمها أو إيذاء المنقطعين بها، يقول ابن عباس رضى الله عنهما (كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال لهم "اخرجوا باسم الله وقاتلوا في سبيل الله، ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع)(١) ، ويتضح من خلال هذه النصوص أن الإسلام في العهدين المكي والمدني، ومن رحاب الحرمين الشريفين، ومن أحكام الإسلام النابعة من مكة والمدينة ومكانتهما الإسلامية، جاءت باحترام الأديان ودور العبادة والمقدسات الدينية لغير المسلمين والشعوب الأخرى، وذلك لضمان وتحقيق التعايش بين الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى.

المطلب الثاني: مبدأ احترام المعاهدات والاتفاقيات الدولية:

تعيش الدولة الإسلامية في محيط الجوار والعلاقات مع العديد من الدول الأخرى والشعوب المختلفة، فمن منطلق التعايش وتبادل المصالح، كان لا بد من عقد المهادنة والمصالحة مع تلك الدول وتبادل العلاقات معها، والذي يظهر ذلك في مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات الدولية، والتي تؤسس الحقوق والالتزامات والمسئوليات بين الدول، ومن هنا كان لا بد على الدولة الإسلامية من احترام تلك المعاهدات والاتفاقيات، والالتزام بالوفاء بها، وقد جاء الإسلام راعياً وداعياً لاحترام العهود والوفاء بالعقود، وخصوصاً تلك المعاهدات التي عقدت في رحاب الحرمين الشريفين، فلها مكانة ومنزلة عظيمة، لعظم المكان الذي عقدت فيه، يقول الله تعالى﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧ ﴾ سورة التوبة الآية ٧، قال السعدي رحمه الله في تفسيره (إلا الذين عاهدتم من المشركين عند المسجد

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٤، عمان، بيت الأفكار الدولية، ٢٠١٠م، مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم ٢٧٢٨.

الحرام، فإن لهم في العهد وخصوصاً في هذا المكان الفاضل حرمة، أوجب أن يراعوا فيها) (١)، وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم العديد من المعاهدات التي عقدت في ظلال الحرمين الشريفين، وأثنى عليها كما في حلف الفضول الذى عقد في رحاب الحرم المكي، يقول عليه الصلاة والسلام(شهدت حلفاً في دار ابن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت) (٢) ، كما أجرى النبي صلى الله عليه وسلم اتفاقية المهادنة مع اليهود، كما في الوثيقة التي عقدت في جنبات الحرم المدني، والتي جاء فيها (أن لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم، وأن اليهود مع المؤمنين وأن بينهم النصر على من حاربهم، وأن بينهم النصح والنصيحة والنصرة للمظلوم والمكلوم واغاثة الملهوف) (٣) ، وفي مقابل احترام العهود فإن الإسلام حرم الغدر والخيانة ونقض العقود والعهود، ويقول الله تعالى﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة الأنفال الآية ٥٨، فالإسلام عظم شأن المعاهدات والاتفاقيات وعهود الأمان، وجعل لها المنزلة والمكانة بمنزلة وشرف وعلو المكان التي عقدت فيها، وهما الحرمان الشريفان.

المطلب الثالث: مبدأ احترام القيم الإنسانية السامية:

إن أساس العلاقات الدولية بين المجتمعات والشعوب والأمم، قائم على احترام القيم الإنسانية والآداب والأخلاق الفاضلة، فمن أسمى وأعلى القيم الإنسانية التي اتفقت الأمم والدول والشعوب على احترامها، وحفظها والتعامل بها، العدالة والمساواة والمشاورة، فاحترام هذه القيم والتعامل بها يزيد من قوة الصلات والمعاملات بين الأفراد والمجتمعات، وقد أدرك الإسلام أهمية الأخلاق والقيم في التعاملات الإنسانية والدولية، فمن جنبات وأروقة الحرمين الشريفين، انطلقت دعوة الإسلام إلى ترسيخ المبادئ والقيم السامية، فقد دعا الإسلام إلى تحقيق خلق العدالة

(١) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، عبد الرحمن بن سعدي، ١/ ٦٧٧.

(٢) أخرجهالبيهقي في سننه، كتاب قسم الفيء والغنيمة/ باب إعطاء الفيء من الديوان، حديث رقم ١٣٢١١.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ١/ ٥٠١.

حتى مع المخالفين في الدين، يقول الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ سورة المائدة الآية ٨، كما دعا الإسلام إلى المساواة بين بني الإنسان وعدم التفرقة بينهم، فلا تفضيل لعرق ولا جنس ولا صفة ولا لون ولا نسب، فالناس كلهم سواء أمام الشرع والقانون والقضاء والدولة، وتقدم لهم كافة الحقوق والخدمات في جميع المجالات، يقول الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ سورة الحجرات الآية ١٣، وقد رسخ النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ المساواة في المجتمع المسلم بقوله وفعله، يقول عليه الصلاة والسلام (يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى) [(١)] ،كما دعا الإسلام إلى تحقيق مبدأ الشورى والتباحث والتشاور، بين الإمام والحاكم والقائد مع الرعية في اتخاذ القرار المناسب، الذي يحقق مصلحة الشعب والأمة، فالشورى هي الوسيلة الآمنة، للوصول إلى أفضل الحلول والآراء لعلاج القضايا والمشكلات والأزمات، التي تمر بها الأمة، ولأجل هذه الأهمية للشورى أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بتطبيقها وتحقيقها، يقول الله تعالى ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ سورة آل عمران الآية ١٥٩، فامتثل النبي صلى الله لهذا الأمر الآلهي الكريم، فقد كان يشاور الصحابة في كثير من القضايا والأحداث، مثل مشاورته صلى الله عليه وسلم للصحابة في يوم معركة بدر وأحد والخندق، ومشاورته صلى الله عليه وسلم لزوجته أم سلمه في حادثة صلح الحديبية[(٢)] ،فمن خلال هذه النصوص الكريمة، يظهر أن دعوة الإسلام لتحقيق واحترام وحفظ المبادئ السامية، التي اتفقت عليها

(١) أخرجهأحمد في مسنده، باب مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، برقم ٢٣٨٨٥.

(٢) انظر محمد بن احمد الصالح ، الشورى في الكتاب والسنة، ط ١، الرياض، ١٤٢٠ه، ٤٣.

الأمم والدول والشعوب، انطلقت من جنبات الحرمين الشريفين، فكان لهما الدور الكبير والأثر الظاهر، في ترسيخ هذه القيم والمبادئ السامية، وتفعيلها في العلاقات الإنسانية والدولية، وتطبيقها على أرض الواقع، حتى يتحقق لكافة أطياف البشرية التعايش السلمي والأمن والسلام الدولي.

المطلب الرابع: مبدأ مراعاة حسن الجوار:

لقد أدى التقارب الجغرافي والاشتراك في الحدود والمناطق، إلى فرض مبدأ حسن الجوار بين الدول المتجاورة والمتقاربة، وأي خلل بهذا المبدأ ينعكس سلباً على استقرار المنطقة، وتدهور للعلاقات بين الدول، وربما وصل الأمر إلى نشوب نزاعات مسلحة دولية، نتيجة لعدم احترام حسن الجوار بين الدول، ولأهمية هذا المبدأ في تحسين مستوى العلاقات الدولية، جاء الإسلام داعياً وراعياً لمبدأ احترام حسن الجوار مع الدول الأخرى، وانطلقت هذه الدعوة من جنبات وأروقة الحرمين الشريفين، ففي كلا العهدين المكي والمدني، جاء الإسلام يدعو إلى احترام مبدأ حسن الجوار، ويظهر ذلك في المظاهر التالية:

١- في العهد المكي لما بدأت تنتشر دعوة الإسلام وتأسست الدولة الإسلامية، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم، واجهته صنوف الأذى من قومه وكافة المحاولات للقضاء على الدعوة و الدولة الإسلامية، بل على شخصه الكريم عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك مكث ثلاثة عشر سنة، وهو يتعامل مع هذه المواقف بمراعاة حسن الجوار، وكريم الخلق مع الدولة المخالفة والمعاديين له، ولم يقم بقتالهم أو رفع السلاح ضدهم، بل تعامل معهم بالإحسان واحترام حق الجوار، امتثالاً للأمر الآلهي الكريم، من قوله تعالى﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ سورة فصلت الآية ٣٤ – ٣٥، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي عند تفسيره لهذه الآية (لقد أمر الله تعالى في هذه الآية، بإحسان خاص وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فإذا أساء أليك مسيئ من الخلق، إساءة بالقول أو الفعل، فقابله بالإحسان إليه واعف عنه وعامله

بالقول اللين وطيب له الكلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان حصلت على فائدة عظيمة) [١].

٢- وفي العهد المدني جاءت نصوص الشريعة الإسلامية بترسيخ مبدأ احترام حسن الجوار في نفوس المسلمين، ولدى الدولة الإسلامية فمن ذلك:

أ-لقد دعا الإسلام إلى إكرام الجار والوصية به والإحسان إليه، يقول الله تبارك تعالى ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ سورة النساء الآية ٣٦، ومن السنة يقول النبي صلى الله عليه وسلم (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) [٢]، فمن الحقوق الشرعية الواجبة على المسلم الامتثال لها والوفاء بها، حق الجوار وإكرام الجار والإحسان إليه، وقد ذكر الفقهاء أن الجيران ثلاثة، الجار المسلم القريب، له حق الجوار والإسلام والقرابة، والجار المسلم له حقان حق الجوار وحق الإسلام، والجار الكافر له حق الجوار. [٣]

ب- وفي مقابل احترام حق الجوار، جاء الإسلام محرماً أذية الجار، أو الإساءة والاعتداء عليه، واعتبر ذلك كبيرة وخطيئة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن؟ قيل من يا رسول الله؟ قال

(١) تيسير الكريم المنان، ابن سعدي، ٢/ ٥٩١.

(٢) أخرجهالبخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الوصية بالجار، حديث رقم ٦٠١٤.

(٣) انظر طه أحمد ياسين، حقوق المسلم، ما له وما عليه، ط١، ب.م، ١٤٣٠ه، ١٥٦.

الذي لا يأمن جاره بوائقه)[١]، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره) [٢] ، فهذه النصوص الكريمة كانت في العهدين المكي والمدني جاءت ترسخ وتعزز احترام حسن الجوار على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول، فهي بهذا تدعو المسلمين عموماً، والحكام والولاة والأئمة وقيادات الدولة الإسلامية، من جنبات الحرمين الشريفين ومن مهوى أفئدة المسلمين، من مكة المكرمة ومن دار الهجرة النبوية المدينة المنورة، تدعوهم إلى احترام حق الجوار، وإكرام الجار والإحسان إليه، وتحريم أذى الجار قولاً أو فعلاً، ومما يدخل في أذية الجار على مستوى العلاقات بين الدول المتجاورة، التدخل في الشؤون الداخلية للدولة المجاورة، فهذا مما يفسد الود والألفة بين الدول، كذلك من الأذية عدم احترام الحدود الفاصلة بين مناطق الدول المتجاورة، أو الاعتداء والاستيلاء عليها وانتهاك حرمة الجوار، فهذا مما يفسد العلاقات الدولية بين الدول المتجاورة، ويؤدي إلى عدم الاستقرار، بل ربما إلى نشوب نزاعات مسلحة بين الدول المتجاورة، فدرءاً للمفسدة والنزاعات، ومراعاة لزيادة التماسك والتعاون في العلاقات، وحفظاً للأمن والسلم بين الدول المتجاورة والمجتمعات، دعا الإسلام إلى احترام حسن الجوار، واكرام الجار على مستوى الأفراد والدول والشعوب والأمم، وكانت هذه الدعوة منبثقة من جنبات الحرمين الشريفين.

(١) أخرجهالبخاري في صحيحه، كتاب الأدب/ باب اثم من لا يامن جاره حديث رقم ٦٠١٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب/ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، حديث رقم ٦٠١٨.

المطلب الخامس مبدأ الحوار مع الآخرين:

لقد خلق الله تعالى البشرية مختلفين في لغاتهم وأجناسهم وألوانهم، وبلدانهم وثقافاتهم وحضاراتهم، ومع وجود هذا الاختلاف والتنوع بين الناس، إلا أنه من السنن الآلهية والحكمة الربانية، أن الناس بحاجة إلى التلاقي والتعارف والتعايش، وتبادل المنافع والمصالح، والسبيل لهذا التقارب والتعايش هو فتح قنوات الحوار مع الآخرين، سواء بين الشعوب والأفراد، أو بين الأمم والدول، فالحوار هو من أعظم وسائل التعايش السلمي والتقارب العالمي، ولأهمية الحوار ومكانته وعلو منزلته، دعا الإسلام الدولة الإسلامية، إلى فتح قنوات الحوار مع الدول والشعوب الأخرى، وانطلقت الدعوة للحوار من رحاب الحرمين الشريفين، ومن أقدس وأطهر بقاع الأرض، فمن مكة المكرمة ومن جوار الكعبة المشرفة، انطلقت دعوة الإسلام للحوار، يقول الله تعالى﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴿٤٦﴾ ﴾سورة العنكبوت الآية ٤٦، ويقول تبارك وتعالى أمراً نبيه صلى الله عليه بالحوار مع المخالفين بالحسنى﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ سورة النحل الآية ١٢٥، فاستجاب النبي صلى الله عليه وسلم لهذا التوجيه الآلهي الكريم، فقد جاءت أحاديث كثيرة في العهدين المكي والمدني، تدل على مشروعية الحوار مع الأمم والدول والشعوب الأخرى، ففي العهد المكي، القصة المشهورة التي تحاور فيها النبي صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش، حين دعاهم بأعلى صوته من جبل الصفا، فلما اجتمع الناس من حوله قال لهم عليه الصلاة والسلام (لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ فقالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً، فقال صلى الله عليه وسلم فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) [(١)]، وأما في العهد المدني فقد جاءت أحاديث وقصص كثيرة في محاورات النبي صلى الله عليه وسلم مع الدول والشعوب الأخرى، سواء من اليهود أو من النصارى أو من الوثنين والمخالفين، فمن ذلك ما وراه أنس

(١) أخرجهالبخاري في صحيحه، كتاب التفسير/ باب تفسير قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) حديث رقم ٤٧٧٠.

رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام كان يهودياً، فلما بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه في المسجد فقال له إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، فقال ما أول أشراط الساعة؟، وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟، و من أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبرني بهن آنفا جبريل، قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماءه كان الشبه له، وإذا سبق ماءها كان الشبه لها، فقال: أشهد أنك رسول الله)[١]، كما ثبت في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم، أجرى الحوار مع وفد نصارى نجران لما قدموا المدينة[٢]، فمن خلال هذه النصوص الكريمة يظهر لنا أن الدعوة إلى الحوار مع الدول والأمم والشعوب الأخرى، انطلقت من جنبات الحرمين الشريفين، ومن أطهر بقاع الأرض وأزكاها من مكة المكرمة والمدينة المنورة داعية وراعية للحوار مع كافة الدول والأمم والشعوب والحضارات [٣]

المطلب السادس: مبدأ احترام الثقافات والتقاليد والأعراف والعادات:

إن لكل دولة وأمة من الأمم ثقافات وتقاليد وأعراف وعادات، وموروثات تتناقلها الأجيال وتتوارثها جيلاً بعد جيل، وتتمسك بها ولا تقبل التنازل عنها، فاحتراماً لهذه الثقافات والعادات، ولأهميتها وتمسك أهلها بها، جاء الإسلام يدعو الدولة الإسلامية إلى احترام ثقافات وأعراف الشعوب والأمم والدول الأخرى، وهذا مما يعزز مستوى العلاقات الدولية، ويدعم روابط التعايش السلمي مع تلك الدول، وانطلقت دعوة الإسلام إلى احترام ثقافات وأعراف الدول والأمم الأخرى، من رحاب الحرمين الشريفين، ومن أرض المشاعر المقدسة المباركة، جاءت الدعوة الإسلامية إلى احترام الثقافات والأعراف العالمية، يقول الله تعالى﴿ خُذِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته/ حديث رقم ٣٣٢٩.

(٢) انظر ابن القيم ، زاد المعاد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢٦، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ه، فصل في قدوم وفد نصارى نجران عليه صلى الله عليه وسلم ٣/ ٦٢٩.

(٣) انظر خالد المغامسي، الحوار وآدابه وتطبيقاته، ط٥، الرياض، طباعة مركز الملك عبد العزيز للحوار، ١٤٢٩ه، ٧٢.

ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ سورة الأعراف الآية ١٩٩، فأعراف وتقاليد وعادات الأمم والشعوب والدول الأخرى، إن لم يكن بها مخالفات ولا محاذير شرعية، فهي أعراف متبعة محترمة والعادات محكمة[١]، كما جاء الإسلام باحترام ثقافات ولغات الأمم والدول الأخرى، فقد ثبت في السنة أن اليهود ينقلون للمسلمين ويروون لهم تاريخ وأخبار الأمم الماضية، فتحرج المسلمون من النقل عنهم والاستماع لهم، فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم، فأباح لهم الرواية عنهم، وقال عليه الصلاة والسلام (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)[٢]، كما ثبت في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم، أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ولغتهم، حتى يقرأ عليه كتبهم إذا كتبوا إليه، وقال أبو جمرة كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس، وقال بعض الناس لابد للحاكم من مترجمين[٣]، بل جاء في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدث بلغات بعض الأمم والشعوب، فقد جاء في حديث أم خالد بنت خالد، لما كساها النبي صلى الله عليه وسلم خميصه سوداء وألبسها بيده، فقال لها (أبلي وأخلقي وكان فيها علم اخضر أو أصفر، فقال يا أم خالد هذا سناه هذا سناه، وسناه بلغة أهل الحبشة أي هذا حسن)[٤]، فهذه النصوص الكريمة انطلقت من رحاب الحرمين الشريفين، لتعلن للعالم وللدول وللأمم وللشعوب الأخرى، أن الإسلام دين التعايش والتسامح، دين المبادئ والقيم، واحترام للثقافات واللغات، والتقاليد والأعراف والعادات، فكان انطلاق هذه الدعوة الكريمة لدعم مبدأ احترام الثقافات والأعراف والعادات، صادراً من الحرمين الشريفين، له الأثر البالغ في تعزيز وتقوية روابط العلاقات الدولية، بين الدولة الإسلامية مع الدول والأمم الأخرى.[٥]

(١) انظر أحمد على سير المباركي، العرف في الشريعة والقانون، ط١، الرياض، ١٩٩٢م، ١٨

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤١٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام باب ترجمة الحكام، حديث رقم ٧١٩٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، حديث رقم ٥٨٢٣.

(٥) انظر محمد الزير ، تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين، ط١، ١٤٤٠ه، ١٩٢.

المطلب السابع: مبدأ التعاون وتبادل المنافع والمصالح المشتركة:

لقد اقتضت حكمة الله ومشيئته أن الإنسان مدني بطبعه، ويحتاج للإنسان الآخر، لتلبية متطلباته وقضاء حاجاته، في شتى ميادين الحياة وعلى مستوى الأفراد والشعوب والأمم والدول، فالتعاون الدولي بهدف تبادل المنافع والمصالح المشتركة، مما يقوي رابط العلاقات الدولية، ويحقق مصالح مشتركة بين كافة الأطراف، من تبادل السلع وتنمية الموارد وتحريك الأسواق التجارية، ونمو الاقتصاد المحلي والدولي، ولأجل أهمية التعاون وعلو مكانته ومنزلته جاء الإسلام يدعو الدولة الإسلامية إلى إحياء وتعزيز مبدأ التعاون مع الدول الأخرى بكافة مجالات التعاون النافعة والمباحة، وتحقيق المصالح المشتركة، وانطلقت هذه الدعوة من البقاع الطاهرة الشريفة من الحرمين الشريفين، وتتجلى صور التعاون في المظاهر التالية:

١- التعاون العسكري مع الدول الأخرى، لصد العدوان وكف الأذى وردع المعتدى ونصرة المظلوم واحقاق الحق، فقد ثبت في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة، حضر وشارك في التحالفات والمعاهدات، التي جاءت للتعاون على نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، والتي عقدت في مكة المكرمة، وفي دار ابن جدعان، وأثنى على هذا التعاون بقوله عليه الصلاة والسلام (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأحببت) [(١)]، كما أشرف صلى الله عليه وسلم على الحلف والمعاهدة، التي كانت في صلح الحديبية بمكة مع المشركين، لأجل إيقاف الحرب والهدنة والمصالحة[(٢)]، وفي العهد المدني لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة وكان فيها قبائل من اليهود، أجرى معهم عليه الصلاة والسلام وثيقة التعاون العسكري، والتي جاءت لتحقيق مقصد عظيم، وهو حماية الدولة الإسلامية من أي عدوان خارجي، وصد العدوان عن المسلمين، فقد جاء في وثيقة المدينة التي أجراها النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود (أن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ه، باب في شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفجار، ٢/ ٢٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح/ باب الصلح مع المشركين، حديث رقم ٢٧٠٠.

نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة) [١]، وكما ثبت أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بيهود بني قينقاع ورضخ لهم ولم يسهم [٢]، فإذا اقتضت الحاجة والضرورة وداهم العدو بلاد المسلمين، وكان بالأمة قلة العدد والعدة، فيجوز للدولة الإسلامية الاستعانة بدول أخرى، والتعاون والتحالف معها لصد العدوان عن المسلمين، وحماية أراضي الدولة الإسلامية وردع الظالمين والمعتدين. [٣]

٢- ومن صور تعاون الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى، التي أباحها الإسلام، التعاون التجاري والاقتصادي، وتبادل السلع والاستيراد والتصدير والبيع والشراء، وتبادل كافة المعاملات المالية والعقود التجارية، بشرط أن لا تكون هناك معاملات محرمة، وإلا فالأصل في المعاملات مع غير المسلمين الحل والإباحة، كما قال الله تعالى﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ٢٧٥ ﴾ سورة البقرة الآية رقم ٢٧٥، وقد ثبت في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم باع واشترى مع المشركين الوثنيين ومع اليهود، فعن عبد الرحمن ابن أبي بكر رضى الله عنه، قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل مشرك بغنم يسوقها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (أبيعاً أم عطية؟ فقال لابل بيع، فاشترى منه شاة) [٤]، وتقول عائشة رضي الله عنها (لقد اشترى رسول الله صلى عليه وسلم من يهودي طعاماً إلى أجل ورهن درعه) [٥]، ولقد انطلقت دعوة التعاون التجاري الاقتصادي مع الدول الأخرى، من البقاع الطاهرة، والمشاعر المقدسة من الحرمين الشريفين، والتي كان لها الأثر البالغ في قوة

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، ط٢، ب.م، دار الكنوز، ب.ت، ١/ ٥٠١.

(٢) أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبير، تحقيق عبد الله التركي، ط١، القاهرة، مركز هجر، ١٤٣٢ه، كتاب السير/ باب الرضخ لمن يستعان به من أهل الذمة، حديث رقم ٧٧٤٩.

(٣) انظر الموقع الرسمي للإمام ابن باز رحمه الله، على الرابط https://binbaz.org.sa/، تاريخ الدخول ٢٩/ ١٢/ ٢٠٢١م.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع/ باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، حديث رقم ٢٢١٦.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرهن/ باب الرهن عند اليهود، حديث رقم ٢٥١٣.

الأسواق والحركة التجارية، بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وزيادة النمو الاقتصادي فيهما [١]، كما ساعد ذلك أيضاً على إنعاش الحركة التجارية الدولية، وتقوية روابط العلاقات مع الدول والأمم الأخرى.

(١) انظر سهيل صابان، بحوث ودراسات في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط١، الرياض، طباعة مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦ه، ٣٠٥.

المطلب الثامن

مبدأ احترام القواعد والأعراف العسكرية في حالة الحروب والنزاعات المسلحة:

لقد وجدت الصراعات البشرية منذ القدم، فمنذ أن خلق الله الإنسان الأول والإنسان يعتدي على الإنسان الآخر، وهذه الصراعات تختلف في وسائلها وأسلحتها وقوتها من عصر إلى عصر، فقد كان في القدم السلاح هو السيف والرمح، أما في هذا العصر المتقدم الحديث، فقد ظهرت أسلحة الدمار الشامل الفتاكة، من الأسلحة النووية والكيميائية، بالإضافة إلى الأسلحة النارية والذخائر والقنابل والمتفجرات، إلا أنه على الرغم من وجود هذا الاختلاف، بين الأسلحة القديمة والأسلحة الحديثة، إلا أن الدول والأمم والشعوب، وعلى مر العصور اتفقت على رسم قواعدها ومبادئ وأعراف عسكرية، يجب على الدول المتحاربة احترامها أثناء الحروب والنزاعات المسلحة، والهدف من ذلك هو احترام النفس الإنسانية والكرامة، وبقاء النوع البشري[1]، وقد دعا الإسلام الدولة الإسلامية إلى احترام هذه القواعد والأعراف العسكرية، وقت الحروب والنزاعات المسلحة مع الدول الأخرى، وانطلقت هذه الدعوة الفاضلة من جنبات الحرمين الشريفين، ويظهر ذلك جلياً في المظاهر التالية:

١- لقد جاء الإسلام بنظام الجهاد والقتال في سبيل الله وتنظيم عملية الجهاد والقتال، فقد جاءت فرضية الجهاد على مراحل حيث لم يشرع الجهاد والقتال بمكة، وذلك لضعف الدولة الإسلامية من ناحية العدد والعدة، ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأسس الدولة الإسلامية، وقويت أركانها وشوكتها أذن الله تعالى لها بقتال أعدائها، يقول الله تبارك وتعالى﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾ سورة البقرة الآية ١٩٠، فالإسلام دعا إلى الأخذ بمبدأ مواجهة العدو والدفاع عن النفس وحماية أراضي الدولة، باستخدام أسلحة

(١) انظر يوسف جمل الليل، أسلحة الدمار الشامل، ط٢، الرياض، مكتبة جل المعرفة، ١٤٢٤، ١٩٣.

الحرب المشروعة، يقول الله تعالى﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾ سورة البقرة الآية ١٩٤، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة خاض العديد من الحروب والمعارك، كمعركة بدر الكبرى ومعركة أحد والخندق، وعقد عليه الصلاة والسلام الألوية وأرسل الجيوش، واستعمل عليه الصلاة والسلام كافة أسلحة الحرب المشروعة والمباحة، التي تدفع العدو، كالنبال والسيوف والرماح والأدرعة وحفر الخندق في معركة الأحزاب(١)، فهذه كانت الوسائل والأسلحة المشروعة والمتاحة في العصر النبوي، فالإسلام دعا إلى الأخذ بمبدأ الدفاع عن النفس في حالة الحروب، وفي المقابل دعا إلى الأخذ بمبدأ عسكري آخر وهو احترام مبدأ الضرورة العسكرية، وأن الحرب ضرورة، لا بد أن تقدر بقدرها، ولا يلجأ إلى أساليب ووسائل وطرق خارجة عن مبدأ الضرورة، فقد ثبت في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه (إن وجدتم فلانا وفلانا فاحرقوهما بالنار) ثم قال لهم بعد ذلك (إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله تعالى، فإن وجدتموهما فاقتلوهما) (٢)، ومن المبادئ العسكرية التي أكد عليها الإسلام في حالة القتال والحرب، مبدأ حماية المدنيين العزل، وهم الذين لا يحملون السلاح، ولم يشاركوا في المعركة والحرب، فحرم الإسلام قتل النساء والصبيان والشيوخ والكهول والرهبان والعباد، فهؤلاء ليسوا من أهل القتال والحرب، يقول ابن عباس رضي الله عنهما (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسل جيوشه أوصاهم فقال: أخرجوا باسم الله وقاتلوا في سبيل الله ولا تغدروا، ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع) (٣)، كما رسخ الإسلام مبدأ احترام الاسرى والجرحى والمرضى بعد القتال والمعركة، ودعا الإسلام إلى الإحسان إلى الأسرى بالمن أو الفداء، ومعاملتهم معاملة

(١) انظر محمد الجعوان، القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته، ب.ط، ب.م، ب.ت، ٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله تعالى، حديث رقم ٣٠١٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنه، حديث رقم ٢٧٢٨.

إنسانية حسنة[1]، كل هذه وغيرها مبادئ وأحكام الجهاد والقتال في الاسلام، والتي جاءت تتوافق مع المبادئ والأعراف العسكرية الدولية، وانطلقت دعوة الإسلام إلى احترام الأعراف والمبادئ العسكرية الحربية من رحاب الحرمين الشريفين، لتأكد أن مكة المكرمة والمدينة المنورة والحرمان الشريفان يحترمان المبادئ والأعراف العسكرية، حتى في حالة الحروب والنزاعات المسلحة، بل إن لها فضل الاسبقية والقدم، فدعوة الحرمين الشريفين لاحترام القواعد العسكرية والحربية نادى بها الإسلام، قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، قبل أن تعرفها النظم والقوانين والمعاهدات والاتفاقيات الدولية الحديثة المعاصرة، مما يدل على أسبقية الإسلام وشموله وكمآله، وأن الدعوة إلى احترام القواعد والمبادئ والأعراف العسكرية الحربية في حالة الحرب انطلقت من جنبات الحرمين الشريفين.

المطلب التاسع: مبدأ تقديم المساعدات الإغاثية والإنسانية:

تواجه الدول والشعوب في أنحاء الأرض، ظروف طارئة وكوارث قاهرة، خارجة عن الإرادة تقع في أي لحظة مفاجئة، مثل الزلازل والبراكين والأعاصير والفيضانات، والحرائق العامة والأمراض الوبائية الخطيرة، والتي تخلف وفيات بشرية هائلة، وأعداد من الجرحى والمرضى والعوز والفقر والتشريد، وهنا ترتفع أصوات ونداءات المجتمع الدولي والمنظمات الاغاثية الدولية، بسرعة المبادرة وتقديم المساعدات الاغاثية والإنسانية للدول وللشعوب المنكوبة، وقد رسخ الإسلام مبدأ الإغاثة الإنسانية، وأحيا في النفوس روح العمل التطوعي والخيري والإغاثي، ورتب له الجزاء والفضل العظيم يقول الله تبارك وتعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٧٤، وفي السنة النبوية هناك أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، تحث على المبادرة إلى تقديم المساعدات الإغاثية للمنكوبين، وتفريج الكروب عن

(١) انظر عثمان جمعة، منهج الإسلام في الحرب، ط١، الكويت، مكتبة دار الأرقم، ١٤٠٢ه، ١٥٦.

المتضررين، يقول عليه الصلاة والسلام (فكوا العاني وأطعموا الجائع وعودوا المريض) [١]، ويحث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وأهله إلى المبادرة للعمل التطوعي والإغاثي بقوله (على كل مسلم صدقه، فقالوا يا نبي الله فمن لم يجد؟ فقال يعمل بيده ويتصدق؟ فقالوا فإن لم يجد؟ فقال يعين ذا الحاجة الملهوف)[٢]، فالمساعدات الاغاثية والإنسانية التي تقدمها الدولة الإسلامية للدول الأخرى المنكوبة، تزيد من روابط التعايش السلمي والتكافل الاجتماعي بين الدول، وتعزز مكانة العلاقات الدولية[٣]، وقد انطلقت دعوة الإسلام إلى المبادرة لتقديم المساعدات الإغاثية والإنسانية للدول وللشعوب المنكوبة، من رحاب الحرمين الشريفين، لتبرهن للعالم وللشعوب والأمم الأخرى، أن الحرمين الشريفين يدعوان إلى مد يد العون والإغاثة والمساعدة، إلى كافة الشعوب والأمم والدول الأخرى، ويدعوان إلى احترام النفس الإنسانية، وحمايتها والمحافظة عليها، مهما اختلفت الديانات واللغات والجنسيات، لأن الإسلام دين الرحمة بالإنسان والبشرية والكائنات، وصدق الله تعالى إذ يقول﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(١) أخرجهالبخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، حديث رقم ٣٠٤٦.

(٢) أخرجهالبخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، حديث رقم ٦٠٢٢.

(٣) انظر حسن وهدان، العمل الخيري مع غير المسلمين، ط١، عمان، دار النفائس، ٢٠١٣م، ١٠٣.

المبحث الرابع: مكانة الحرمين الشريفين وأثرها على العلاقات الدولية:

إن للحرمين الشريفين في نفوس المسلمين، المكانة العالية والمنزلة الرفيعة، والمهابة والإجلال والاكرام، فمكة المكرمة مهبط الوحي، ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم، ومهوى الأفئدة وقبلة المسلمين، وإليها ويقصدها الحجاج والعمار، والمدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى، ومهاجر النبي صلى الله عليه وسلم، وبها آثار النبي عليه الصلاة والسلام ومسجده الشريف، وهي دار المهاجرين والأنصار، ويقصدها المسلمون والزوار، ومن هنا كان للحرمين الشريفين المكانة والمهابة، والإجلال والتعظيم في نفوس المسلمين، كما أن هذه المكانة والمنزلة للحرمين الشريفين، كان لها الأثر البالغ في تحسين العلاقات الدولية، مع كافة الشعوب والأمم والدول الأخرى، وعلى كافة المستويات والأصعدة، وكان يمثل هذه المكانة أمام المجتمعات الدولية ما قامت به الدولة الإسلامية، بمختلف عهودها وعصورها، منذ العهد النبوي ثم عهد الخلافات الراشدة، ثم عهود الخلافات الإسلامية، وما تقوم به المملكة العربية السعودية في هذا العصر المعاصر الحديث، ما هو إلا امتدادا للمنهج المبارك الذي خطه النبي صلى الله عليه وسلم للدولة الإسلامية، في بناء علاقاتها الدولية مع الدول الأخرى، وقد تجسدت هذه المكانة على أرض الواقع، وكان لها الأثر البالغ والسجايا الحميدة، في تعزيز وتحسين مستوى العلاقات الدولية، بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى، وجاءت أبرز هذه الآثار في المطالب التالية:

المطلب الأول: الآثار السياسية والدولية:

انطلاقا من مكانة الحرمين الشريفين في نفوس المسلمين والأمة الإسلامية والعربية والدولية، فقد بذلت المملكة العربية السعودية كافة جهودها، من أجل جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ولم الشتات، وإنهاء النزاعات والانشقاقات والخلافات وحل قضايا الأمة الإسلامية، فقد عقد في رحاب الحرمين الشريفين، العديد من المؤتمرات والقمم واللقاءات الدولية، على مستوى القادة ورؤساء الدول والتي تهدف إلى إزالة الخلافات والقضاء على النزاعات وحل قضايا الأمتين العربية والإسلامية، والتي كان من أبرزها القضية الفلسطينية، وحل قضايا الخلافات العربية والإسلامية، ومكافحة الإرهاب والجماعات والمتطرفة، والتدخلات في الشؤون الداخلية للدول، فمن أبرزها:

١- مؤتمر القمة الإسلامية الثالث التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، والذي انعقد في رحاب الحرم المكي الشريف بتاريخ ١٤٠١/٣/١٩ه والموافق ٢٥/يناير

١٩٨١م، والذي كان برئاسة الملك خالد رحمه الله حيث قال فيه رحمه الله {إخواني قادة الدول الإسلامية إنني أشكر الله العلي القدير، الذي أتاح لنا هذا اللقاء، في مكة المكرمة وفي مهد الإسلام، ومن بيت الله الحرام وبجوار الكعبة المشرفة، لنعاهد الله تعالى على العمل لرفع شأن الإسلام وإعلاء كلمة الله تعالى} [١].

٢- مؤتمر القمة الإسلامية الاستثنائية التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، والذي انعقد في قصر الصفا من جوار الحرم المكي الشريف، في الفترة من ٢٥-٢٧/ ٩ / ١٤٣٣هـ الموافق ١٠/ أغسطس ٢٠١٢م، برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله، حيث تحدث فيه رحمه الله بقوله: {من جوار بيت الله الحرام ومن أمام الكعبة المشرفة، فإننا نجتمع اليوم لحل الخلافات ولم الشتات، أيها القادة الكرام إن الأمة الإسلامية اليوم، تعيش حالة من الفتن والتفرق التي بسببها تسيل دماء أبنائها، والحل الأمثل هو بالتضامن والتسامح والاعتدال، والوقوف صفاً واحداً، أمام كل من يحاول المساس بديننا ووحدتنا، وإنني أقترح عليكم تأسيس مركز للحوار بين المذاهب الإسلامية للوصول إلى كلمة سواء} [٢]

٣- مؤتمر المصالحة بين حركتي فتح وحماس، والمسمى باتفاق مكة والذي عقد في قصر الصفا من جوار الحرم المكي الشريف، برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله، والذي سعى جاهداً لحل الخلاف الفلسطيني وإزالة الفرقة والنزاع بين حركتي فتح وحماس، وانهاء هذا الخلاف باتفاق تاريخي أطلق عليه باتفاق مكة، وكان هذا في الفترة من ١٦/ سبتمبر / ٢٠٠٧م، حيث قال فيه رحمه الله (إنني أحمد الله تعالى الذي جمع بين الأخوة الأشقاء، في رحاب بيته العتيق، ومن جوار بيت الله الحرام، ويسر الوصول إلى اتفاق مشرف يثلج صدور الشعب الفلسطيني الشقيق، والأمتين

(١) الموقع الرسمي لقناة العربية، على الرابط: https://www.alarabiya.net/، تاريخ الدخول ٢٦/ ٢/ ٢٠٢٢م.

(٢) الموقع الرسمي لجريدة الرياض، على الرابط https://www.alriyadh.com/، تاريخ الدخول ٢٦/ ٢/ ٢٠٢٢م.

العربية والإسلامية، ولقد توصل الأخوة إلى اتفاقهم التاريخي، بإرادة حرة مستقلة، وإنني على ثقة أنه سيبقى بإذن الله تعالى) [١].

٤-القمم الثلاث الإسلامية والعربية والخليجية، والمقامة في قصر الصفا، من جوار الحرم المكي الشريف، والتابع لمنظمة التعاون الإسلامي وجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي، والمنعقد بتاريخ ١٤٤٠/٩/٢٧ه، برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله، حيث جاء في كلمته حفظه الله بمؤتمر القمة الإسلامية (أيها القادة أرحب بكم من مهبط الوحي، ومن جوار بيت الله الحرام، وقبلة المسلمين، وفي هذا الشهر المبارك، حيث نجتمع في هذه القمة لتحقيق تطلعات الأمتين الإسلامية والعربية، للتقدم والرقي والازدهار، أيها الأخوة الكرام إن القضية الفلسطينية هي القضية الركيزة، لأي قضية إسلامية، ونؤكد على شرعية الدولة الفلسطينية وحقوق شعبه، أيها الأخوة الكرام إن التطرف والإرهاب من أخطر المواجهات التي تواجهها الأمة الإسلامية، ولابد للوقوف معاً لتجفيف موارد الإرهاب المالية، ومنابعه وأصوله والقضاء على أشكاله) [٢].

٥- عقدت في رحاب المدينتين الشريفتين مكة المكرمة والمدينة المنورة، العديد من المؤتمرات والندوات واللقاءات الدولية، على المستوى الوزاري والعلمي والثقافي، فهناك مؤتمرات عقدت على مستوى وزارة الخارجية، ومؤتمرات عقدت على مستوى العلماء والمفكرين والأدباء، والتي كانت ترعاها الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وصدرت منها عدة قرارات وبيانات واعلانات تعالج العديد من القضايا التي تهم الأمة الإسلامية والعربية والدولية، وعلى رأسها قضية فلسطين، وقضايا مكافحة التطرف والإرهاب، والدعوة إلى الحوار والتسامح والوسطية والاعتدال، وكان آخرها ميثاق مكة الصادر بتاريخ ٢٠١٩/٣٠/٣٠م، والذي أصدرته رابطة العالم الإسلامي، وأهديت نسخة منه لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله، وقد احتوى هذا الميثاق على مجموعة من البنود، وكان

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

من أبرزها أهمية مبادئ التسامح والتفاهم بين الشعوب والأمم، وتعزيز منهج الوسطية والاعتدال، ونبذ التطرف والإرهاب والعنصرية والكراهية.[١]

المطلب الثاني: الآثار الأمنية:

لقد كان للحرمين الشريفين الأثر البالغ والجهود البارزة والدور الفعال، في الدعوة لحفظ الأمن والسلم الدوليين، على كافة المستويات والأصعدة، وتعزيز الأمن الوطني والقومي والدولي، بين الشعوب والأمم والمجتمعات الدولية، ودعوة المجتمعات الدولية إلى مكافحة التطرف والإرهاب والطائفية والعنصرية والكراهية، والتأكيد علي نشر ثقافة الحوار والتسامح والوسطية والاعتدال والعدل والسلام، تمثل ذلك في المواثيق الدولية المعلنة من رحاب الحرم المكي الشريف، والبيانات الختامية والاعلانات والقرارات الدولية، الصادرة من المؤتمرات الدولية المنعقدة في رحاب الحرم المكي السالف ذكرها، وبحضور ومشاركة رؤساء وقادة الدول العربية والإسلامية، وعلى المستوى الوزاري، وكذا على مستوى العلماء والمفكرين والأدباء، جاء في البيان الختامي لمؤتمر القمة الإسلامية الاستثنائية المنعقد بقصر الصفا بمكة المكرمة في الفترة من ١٠-١٢ / أغسطس / ٢٠١٢م، (إن دول الأعضاء في المؤتمر، إذ تؤكد على أهمية الاجتماع ووحدة الأمة والكلمة، وتؤكد بأن موضوع الغلو والتطرف والإرهاب، يشغل بال العالم كله، وتؤكد بأن الإسلام هو دين الوسطية والانفتاح، وهو يرفض أشكال الغلو والتطرف والانغلاق، ويؤكد على أهمية التصدي للفكر المنحرف ،ومكافحة الإرهاب والتطرف بكل الوسائل المتاحة، كما أن المؤتمر يشدد على إدانة الإرهاب بجميع أشكاله وصوره، ويرفض أي مبرر أو مسوغ له، معتبراً بأن الإرهاب لا يرتبط بأي مكان، أو دين أو جنس أو لون، كما يؤكد المؤتمر على ضرورة تضافر الجهود الدولية، والتعاون لمكافحة هذه الظاهرة النكراء، كما يؤكد المؤتمر على ضرورة نشر ثقافة الحوار بين أتباع الأديان، واحترام الثقافات والحضارات، وأن

(١) الموقع الرسمي لرابطة العالم الإسلامي على الرابط https://www.themwl.org/ar، تاريخ الدخول ٢٦/ ٢/ ٢٠٢٢م.

الحوار هو السبيل الأمثل لتجسيد قيم الاحترام والسلام، كما دعا المؤتمر إلى حفظ سيادة الدول وعدم التدخلات في الشؤون الداخلية للدول، واحترام دول الجوار) [١]

المطلب الثالث: الآثار الاقتصادية:

لقد انطبعت محبة الحرمين الشريفين لدى نفوس كافة الشعوب والأمم، وذلك لقداستهما وشرفهما، مما جعل هذه المحبة لها الأثر الكبير في الاقبال المتزايد على شراء السلع والمنتجات المصنعة في الحرمين الشريفين، سواء المنتجات الغذائية أو الكمالية، إما بغرض اقتنائها أو لغرض طلب الشفاء والبركة، كما في ماء زمزم المبارك، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم (إنها مباركة، إنها طعام طعم) [٢]، وكما جاء النص في فضل تمور عجوة المدينة الطيبة، والتي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، أنها تحمي الإنسان من الشرور والسموم، يقول عليه الصلاة والسلام (من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) [٣]، وهذا من بركة الحرمين الشريفين، ولذا يحرص كثير من الحجاج والزوار القاصدين للحرمين الشريفين، عند مغادرتهم لبلدانهم على شراء ماء زمزم وتمور العجوة وكذا السلع والمنتجات المصنعة في الحرمين الشريفين، وقد أسهم هذا على تبادل المصالح والمنافع بين الدول، وتقوية موارد الاقتصاد الوطني والدولي، وانعاش الحركة الاقتصادية في الداخل والخارج.

المطلب الرابع: الآثار المجتمعية:

إن بقاء الشعوب الإسلامية متجاورة مع شعوب الديانات الأخرى، واتباع الأديان سنة إلهية وضرورة حتمية، يفرضها المكان والاقليم والزمان، ومن هنا كان لا بد على الشعوب الإسلامية من بث روح التعايش السلمي مع الشعوب الأخرى، ونشر روح التسامح والوسطية والاعتدال في التعامل مع تلك الشعوب، وفتح قنوات الحوار مع أهل الحضارات الأخرى، وانطلاقاً من هذه المبادئ

---

(١) الموقع الرسمي لجريدة الرياض، على الرابط https://www.alriyadh.com/، تاريخ الدخول ٢٦/ ٢/ ٢٠٢٢م

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في فضائل أبي ذر رضي الله عنه، حديث رقم ٢٤٧٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب العجوة، حديث رقم ٥٤٤٥.

الكريمة والقيم الإنسانية النبيلة، فقد كان للحرمين الشريفين الجهود البارز، والدور الفعال، في تعزيز هذه القيم المجتمعية بين الشعوب الإسلامية وغيرها، والتأكيد على ضرورة التعايش السلمي، مع الشعوب واتباع الأديان وأهل الحضارات الأخرى، جاء في ديباجة وثيقة مكة المكرمة الصادرة من المؤتمر الدولي حول قيم الوسطية والاعتدال، والذي نظمته رابطة العالم الإسلامي، والمنعقد في رحاب الحرم المكي الشريف في الفترة من ٢٠١٩/٥/٣٠م وفيه (فمن رحاب البيت الحرام ومن أفياء الكعبة المشرفة، يستصحب حضور مؤتمر وثيقة مكة المكرمة من كبار علماء الأمة الإسلامية، الصدى الكبير لوثيقة المدينة المنورة، التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم، قبل أربعة عشر قرناً مع المكونات المختلفة، في أديانها وثقافاتها وأعراقها، في مدينته المنورة، فكانت وثيقة دستورية يحتذى بها في إرساء قيم التعايش، وتحقيق السلم بين مكونات المجتمع الإنساني، والمسلمون إذ يصدرون هذه الوثيقة من جنبات البيت العتيق، يؤكدون أنهم جزء من هذا العالم بتفاعله الحضاري، ويسعون للتواصل مع مكوناته كافة لتحقيق صالح البشرية، وتعزيز قيمها النبيلة، وبناء جسور المحبة والوئام الإنساني، والتصدي لممارسات الظلم والصدام الحضاري وسلبيات الكراهية) [(١)]، فقد أسست وثيقة مكة المنبثقة من رحاب الحرم المكي الشريف، مبادئ التعايش السلمي بين الشعوب الإسلامية والأمم الأخرى، ودعت إلى تعزيز العلاقات الدولية والمجتمعية، من خلال نشر ثقافة الحوار، وفتح قنوات التواصل والتبادل والتعاون، وإحياء مبادئ التسامح والوسطية والاعتدال، وفي مقابل هذه المعاني الإنسانية النبيلة، فقد أكدت وثيقة مكة إلى ضرورة مكافحة التطرف والإرهاب، ونبذ الطائفية والعنصرية والكراهية، وحماية الشعوب والأمم والدول من الفساد وأدواته وكافة أشكاله وأنماطه، وانطلقت الدعوة إلى المحافظة على الأمن والسلم الدوليين، من رحاب الحرمين الشريفين،

ومن نصوص الوحيين المطهرين حيث يقول الله تعالى: ومن أصدق من الله قيلا﴿ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾ سورة القصص الآية ٧٧.

(١) الموقع الرسمي لجريدة المواطن على الرابط https://www.almowaten.net/، تاريخ الدخول: ٢٧/ ٢/ ٢٠٢٢م.

الخاتمة:

لقد عظم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها الحرمين الشريفين، كما دعمت الدولة الإسلامية في كافة عصورها وقياداتها هذا التعظيم والإجلال للحرمين الشريفين، وكان لمكانة الحرمين الشريفين الآثار الطيبة والكريمة في تعزيز وتقوية مستوى العلاقات مع المجتمعات الدولية، وبعد دراسة هذا الموضوع توصل الباحث إلى أبرز النتائج والتوصيات التالية:

أولا: أبرز النتائج:

١- أن الدراسة قدمت تعريفا لمكانة الحرمين الشريفين وآثارها على العلاقات الدولية.

٢- أن الدراسة أبرزت مظاهر وصور تعظيم الحرمين الشريفين في نصوص الشريعة، والمنبثقة من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٣- لقد انطلقت مكانة الحرمين في تعزيزها لمستوى العلاقات الدولية على عدة مبادئ ومرتكزات وأسس، والتي انبثقت من نصوص الوحيين ومن رحاب الحرمين الشريفيين، وكان لهذه المبادئ الآثار الحميدة والكريمة في تقوية العلاقات الدولية، وقد سعت الدراسة إلى إظهار ذلك وإبرازه.

ثانيا: أبرز التوصيات:

١- سوف يبقى للحرمين الشريفيين بإذن الله، المكانة والمهابة والإجلال والتعظيم في نفوس المسلمين، وقد جاءت نصوص الشريعة مؤسسة وراعية لهذا التعظيم والمكانة، كما جاءت أقوال الفقهاء والعلماء داعمة لذلك، وكل هذا مبثوث في الكتب والمراجع العلمية، لذا فإن الباحث يوصي الباحثين والدارسين إلى طرق هذه المسائل وجمعها في رسائل علمية، فهي ما زالت بحاجة إلى مزيد جمع ودراسة، وإبراز مكانة الحرمين الشريفين ودورها في تقوية العلاقات على كافة المستويات الفردية والمجتمعية والوطنية والدولية وإبراز الآثار المترتبة عليها.

٢- للحرمين الشريفيين المنزلة الرفيعة والمكانة العالية في نفوس المسلمين والعالمين، كما أن لقدسية المكان الشرف والخير والنماء والبركة، لذا فإن الباحث يوصي الدول الإسلامية والقيادات والزعماء، والعلماء والدعاة والمفكرين والمعلمين والأدباء، ووسائل الإعلام ومنصات

التواصل الاجتماعي، إلى تقوية ودعم مكانة الحرمين الشريفين والتمسك بها، ونشر ثقافة تعظيم الحرمين الشريفين بين الأفراد والشعوب والدول، وتذكير الناس والمجتمعات بها، كما يوصي الباحث بإدراج مقرر تعظيم الحرمين الشريفين، في مناهج التعليم على كافة المستويات التعليمية، وربط الأجيال بهذا الخلق النبيل.

٣- مكانة الحرمين الشريفين وتعظيمهما، ما زالت بحاجة إلى عقد المزيد من المؤتمرات والندوات الدولية والوطنية، والملتقيات والمعارض، والتي تبرز هذه المكانة، لذا فإن الباحث يوصي بعقد المزيد من المؤتمرات والندوات الدولية والوطنية على كافة المستويات، وتعزيز مكانة تعظيم الحرمين الشريفين، كما يوصي الباحث بالسعي بقدر الإمكان بعقد هذه المؤتمرات والندوات في رحاب الحرمين الشريفين.

٤- لقد أثرت مكانة الحرمين على تحسين مستوى العلاقات مع المجتمعات والدول والشعوب الأخرى، لذا فإن الباحث يوصي الدول الإسلامية باستغلال هذه المكانة، وإنشاء منظمة عالمية دولية، تدعم مكانة الحرمين الشريفين، وتعزز من تقوية العلاقات الدولية، وتحمل اسم منظمة الحرمين الشريفين الدولية.

وختاماً فإنني أحمد الله تعالى أن يسر لي كتابة هذا البحث وإتمامه، والفراغ منه في بلاد الحرمين الشريفين، المملكة العربية السعودية، حماها الله ووقاها وأدام عليها، خدمة الحرمين الشريفين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- القران الكريم

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ، تحقيق محمد زهري النجار، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.

- مسند الإمام أحمد ، أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٤، عمان، بيت الأفكار الدولية، ٢٠١٠.

- الجامع الصحيح المسند، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري ، ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ، ط١، الرياض، دار السلام، ١٤١٩هـ.

- صحيح مسلم، ،، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق خليل مأمون، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ.

- السنن الكبير ، أحمد بن الحسين، البيهقي، تحقيق د/عبد الله التركي، ط١، القاهرة، مركز هجر للبحوث، ١٤٣٢هـ.

- مجموع الفتاوى ،، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه ، ، جمع وتحقيق عبد الرحمن بن قاسم، ط١، المدينة المنورة، طباعة مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ.

- زاد المعاد في هدي خير العباد ،، محمد بن أبي بكر الجوزية، ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢٦، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

- البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر ابن كثير ، ، تحقيق أحمد أبو ملحم، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، عبد العزيز بن عبد الله ابن باز ، جمع وترتيب محمد الشويعر، ط١، الرياض، ١٤٢١هـ.

- خصائص جزيرة العرب ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط٢، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢١هـ.

- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا، ط٢، ب.م، دار الكنوز العربية، ب.ت.

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، مسعود بن أحمد الكاساني ، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧هـ.

- أحكام الحرم المكي الشرعية ،، عبد العزيز محمد الحويطان ، ، ط١، الرياض، ١٤٢٥هـ.

- أحكام التعايش مع غير المسلمين، ،، مصطفي مكي الكبيسي ، ط١، عمان، دار النفائس، ٢٠١٣م.

- الشورى في الكتاب والسنة ، محمد بن أحمد الصالح ، ، ط١، الرياض، ١٤٢٠هـ.

- العرف وأثره في الشريعة والقانون ، أحمد علي سير المباركي ، ط١، الرياض، ١٩٩٢م.

- تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين محمد عبد العزيز الزير، ط١، الرياض، ١٤٤٠هـ.

- القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته ، محمد ناصر الجعوان ، ب.ط، ب.م، ب.د، ب.ت.

- الحوار وآدابه وتطبيقاته ، خالد محمد المغامسي ، ، ط٥، الرياض، طباعة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ١٤٢٩هـ.

- المستجدات الفقهيه في العلاقات الدوليه ، داير يوسف الصديقي ، ، ط١، عمان، دار النفائس، ٢٠١٢م.

- المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي ، ، ب.ط، بيروت، ب.ت.

- صابان، سهيل صابان، بحوث ودراسات في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط١، الرياض، طباعة مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٦ه.

- منهج الإسلام في الحرب جمعة، عثمان، ، ط١، الكويت، مكتبة دار الأرقم، ١٤٠٢هـ.

- اسلحه الدمار الشامل ، يوسف عبد الله جمل الليل ، ، ط٢، الرياض، مكتبة جل المعرفة، ١٤٢٤هـ.

- العمل الخيري مع غير المسلمين ، حسن عبد الرحمن وهدان ، ، ط١، عمان، دار النفائس، ٢٠١٣.

- حقوق المسلم ماله وماعليه ياسين، طه أحمد ياسين ، ، ط١، ب.م، ١٤٣٠.

- المواقع الالكترونية:

- الموقع الرسمي للإمام عبد العزيز بن باز، على الرابط https://binbaz.org.sa/.

- الموقع الرسمي لرابطة العالم الإسلامي، على الرابط https://www.themwl.org/ar.

- الموقع الرسمي لجريدة الرياض، على الرابط https://www.alriyadh.com/.

- الموقع الرسمي لقناة العربية، على الرابط https://www.alarabiya.net/.

الموقع الرسمي لجريدة المواطن، على الرابط https://www.almowaten.net/.